

أضواء البيان

@ 40 @ يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ قَوِّهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ . . {

فهم لشدة خوفهم من الله ، وإجلالهم له بسبحون بحمد ربهم ، ويخافون على أهل الأرض ، ولذا يستغفرون لهم خوفاً عليهم من سخط الله ، وعقابه ، ويستأنس لهذا الوجه بقوله تعالى { إِنْ زَلَّكَ عَرْضُكَ إِلَّا اللَّيْلُ مَأْتِيَةً عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } إلى قوله : { وَأَشْفَقْنَا مِنْهُمْ } لأن الإشفاق الخوف . .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة { وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ } يعني لخصوص الذين آمنوا منهم وتابوا إلى الله واتبعوا سبيله ، كما أوضحه تعالى بقوله : { الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا } . .
فقوله : { لِلَّذِينَ آمَنُوا } يوضح المراد من قوله : { لِمَن فِي الْأَرْضِ } .

ويزيد ذلك إيضاحاً قوله تعالى عنهم إنهم يقولون في استغفارهم للمؤمنين { فَاعْفُرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ } لأن ذلك يدل دلالة واضحة على عدم استغفارهم للكفار . .

الوجه الثاني : أن المعنى { تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ } من شدة عظم الفرية التي افتراها الكفار على خالق السماوات والأرض جل وعلا ، من كونه اتخذ ولداً ، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ، وهذا الوجه جاء موضحاً في سورة مريم ، في قوله تعالى : { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَانِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَانِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا إِنْ كُنَّ كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَانِ عَبْدًا } كما قدمنا إيضاحه . .

وغاية ما في هذا الوجه أن آية شورى هذه فيها إجمال في سبب تفتت السماوات ، وقد جاء ذلك موضحاً في آية مريم المذكورة . وكلا الوجهين حق . .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة { يَتَفَطَّرْنَ } من قوِّهِمْ } فيه للعلماء أوجه . .

قيل : يتفطرن ، أي السماوات من فوقهن أي الأرضين ، ولا يخفى بعد هذا القول كما ترى .